

أختـــاه زينتك الحيـــاء

جمع وترتيب
محمـود المصـرى
(أبو عمار)

مؤسسة قرطبة
ت : ٧٧٩٥٠٢٧

الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م

رقم الإيداع	٢٠٠١/١١٥٤٢

تطلب منشوراتنا من

دار فجر الإسلام
ميدان الشون - المحلة الكبرى ٠١٢/٣٧٥٢٨٣٣

الناشر
مؤسسة قرطبة
٦٤ شارع الخليفة - مدينة الأندلس - الهرم ت: ٧٧٩٥٠٢٧
٥ شارع الباب الأخضر - ميدان الحسين ت : ٠١٠١٢٣٧٨٧٤

الكمبيوتر : إبراهيم حسن
ت : ٥٦٠١٠٠٨

الشركة الفنية للطباعة ت : 7771039

بين يدى الكتاب

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران: ١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (النساء: ١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (الأحزاب: ٧٠ ـ ٧١). أما بعد:

فما أجمل أن تتزين الأخت المسلمة بزينة الحياء.. إن الحياء أجمل وأبهى زينة للمرأة المسلمة.. فالحياء كله خير

ولا يأتى إلا بكل خير وهو من الإيمان والإيمان فى الجنة. . . فالحياء طريق يوصل إلى الجنة.

أختاه: إن الحياء خُلُق الإسلام ولذلك فإننى أخاطب فطرتك النقية يا بنت الإسلام لتعرفى قدر الحياء فيكون زينة لك فى الدنيا وحاديًا لك لدخول الجنة فى الآخرة.

نريد أن نرى الأخت التى تمشى على استحياء وتتكلم باستحياء وتطلب باستحياء. . . إننا نريد أن نرى الأخت المسلمة وقد امتزجت دماؤها بالحياء.

فهيا يا أختاه لنطوف بقلوبنا فى بساتين الحياء عسى الله أن يرزقنا جميعًا نعمة الحياء.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه أفقر خلق الله إلى الله

محمود المصرى

(أبو عمار)

حقيقة الحياء

قال الإمام النووى - رحمه الله -:

قال العلماءُ: حَقيقَةُ الحَياء خُلُقٌ يبْعثُ على تَرْكِ القَبيحِ، ويمْنَعُ منَ التقْصير في حَقِّ ذى الحَقِّ. وَروَيْنَا عنْ أبى القَاسم الجُنيْد رَحمَهُ اللَّه قال: الحَيَاءُ رُؤيَةُ الآلاء أى: النِّعمِ ورؤيةُ التَّقْصير، فَيَتولَّدُ بيْنَهُمَا حالة تُسَمَّى حياءً، واللَّه أعلم.

وقال الإمام ابن القيم - رحمه الله -:

و«الحياء» من الحياة. ومنه «الحيا» للمطر، لكن هو مقصور. وعلى حسب حياة القلب يكون فيه قوة خُلُق الحياء. وقلة الحياء من موت القلب والروح. فكلما كان القلب أحيَى كان الحياء أتم.

قال الجنيد - رحمه الله: الحياء رؤية الآلاء. ورؤية التقصير، فيتولد بينهما حالة تسمى الحياء. وحقيقته خلق يبعث على ترك القبائح. ويمنع من التفريط فى حق صاحب الحق.

ومن كلام بعض الحكماء: أحْيوا الحياء بمجالسة من

يستحيى منه. وعمارة القلب: بالهيبة والحياء. فإذا ذهبا من القلب لم يبق فيه خير.

وقال ذو النون: الحياء وجود الهيبة فى القلب مع وحشة ما سبق منك إلى ربك، والحب ينطق والحياء يسكت. والخوف يقلق.

وقال السرى: إن الحياء والأنس يطرقان القلب. فإن وجدا فيه الزهد والورع وإلا رحلا.

وفى أثر إلهى يقول الله عز وجل «ابن آدم. إنك ما استحييت منى أنسيت الناس عيوبك. وأنسيت بقاع الأرض ذنوبك. ومحوت من أم الكتاب زلاتك. وإلا ناقشتك الحساب يوم القيامة».

وفى أثر آخر «أوحى الله عز وجل إلى عيسى عليه الصلاة والسلام: عظ نفسك فإن اتعظت، وإلا فاستحى منى أن تعظ الناس».

وقال الفضيل بن عياض: خمس من علامات الشقوة: القسوة فى القلب. وجمود العين. وقلة الحياء. والرغبة فى الدنيا. وطول الأمل.

وأثر إلهى «ما أنصفنى عبدى. يدعونى فأستحيى أن أرده. ويعصينى ولا يستحيى منى».

وقال يحيى بن معاذ: من استحى من الله مطيعًا استحيى الله منه وهو مذنب[1].

الحياء كله خير

* قال رسول الله ﷺ: «الحياء خيرٌ كله»[2].

وقال رسول الله ﷺ: «الحياء لا يأتى إلا بخير»[3].

وقال رسول الله ﷺ: «ما كان الفحشُ فى شيٍ قط إلا شانه، ولا كان الحياء فى شىء قط إلا زانه»[4].

وقال رسول الله ﷺ: «الحياء من الإيمان، والإيمان فى الجنة، والبذاء[5] من الجفاء، والجفاء فى النار»[6].

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ٢٧٠: ٢٧١).

(٢) أخرجه مسلم وأبو داود عن عمران بن حصين.

(٣) أخرجه البخارى ومسلم عن عمران بن حصين.

(٤) صحيح: رواه أحمد، والبخارى فى الأدب، والترمذى وابن ماجه عن أنس، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٦٥٥).

(٥) البذاء: إظهار الفحش من القول.

(٦) صحيح: رواه الترمذى والحاكم، والبيهقى فى شعب الإيمان عن أبى =

وقال رسول الله ﷺ: «الإيمان بضعٌ وستون شعبة، والحياء شعبة من الإيمان»[١].

وقال ﷺ: «الحياء والعِيُّ [٢] شعبتان من الإيمان، والبذاء والبيان[٣] شعبتان من النفاق»[٤].

وقال رسول الله ﷺ: «إن الحياء والإيمان قُرنًا جميعًا، فإذا رُفع أحدهما رُفع الآخر»[٥].

أوصيك أن تستحي من الله كما تستحي من الرجل الصالح من قومك

الذين يستحيي منهم الإنسان: الله عز وجل، ثم

= هريرة، والبخارى فى الأدب وابن ماجه والحاكم، والبيهقى عن أبى بكرة، والطبرانى فى الكبير، والبيهقى عن عمران بن حصين، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣١٩٩).

(١) أخرجه البخارى عن أبى هريرة.

(٢) العى: سكوت اللسان خشية الوقوع فيما لا يحل.

(٣) فصاحته وإن كان بغير حق.

(٤) رواه أحمد والترمذى والحاكم عن أبى أمامة، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٢٠١).

(٥) صحيح: رواه الحاكم فى المستدرك والبيهقى فى شُعب الإيمان عن ابن عمر، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (١٦٠٣).

الملائكة، والناس، ونفسه، فمن استحيى من الناس، ولم يستحى من نفسه؛ فنفسه أخس عنده من غيره لأنه يراها أحتر من أن يستحيى منها، ومن استحيى منها، ولم يستحى من الله، فلعدم معرفته بالله عز وجل، فمن ثم قال رسول الله ﷺ للرجل الذى استوصاه: «أوصيك أن تستحيى من الله كما تستحيى من الرجل الصالح من قومك»(١). فحق الإنسان إذا همَّ بقبيح أن يتصور أحدًا من نفسه كأنه يراه، فالإنسان يستحيى ممن يكبر فى نفسه، ولذلك لا يستحيى من الحيوان، ولا من الأطفال، ولا من الذين لا يميزون، ويستحيى من العالم أكثر مما يستحيى من الجاهل، ومن الجماعة أكثر مما يستحيى من الواحد، وينبغى على الإنسان إذا كبرت عنده نفسه، أن يكون استحياؤه منها أكثر من استحيائه من غيره ومن ثَم قال بعض السلف: «من عمل فى السر عملاً يستحى منه فى العلانية، فليس

---

(١) رواه من حديث سعيد بن يزيد رضى الله عنه الإمام أحمد فى «الزهد» (ص:٤٦)، والخرائطى فى «مكارم الأخلاق» (ص: ٥٠)، وغيرهما، وقال الألبانى: (إسناده جيد، رجاله كلهم ثقات)، على خلاف فى صحبة سعيد بن يزيد، وهو ابن الأزور، وقد أثبتها له أبو الخير هذا - يعنى مرثد الراوى عن سعد - وهو أدرى بها من غيره) اهـ. من «الصحيحة» (٧٤١).

لنفسه عنده قدرٌ»(١).

* عن ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم لأصحابه: «استحيوا من الله حق الحياء»، قالوا: «إنا نستحيى يا رسول الله» قال: «ليس ذاكم(٢)، ولكن من استحيى من الله حق الحياء: فليحفظ الرأس وما وعى(٣)، وليحفظ البطن وما حوى(٤)، وليذكر الموت والبلى(٥)، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا(٦)، فمن فعل ذلك(٧) فقد

---

(١) الحياء خلق الإسلام/ الشيخ محمد إسماعيل (ص: ٣١).

(٢) قال البيضاوى رحمه الله: (ليس حق الحياء من الله ما تحسبونه، بل أن يحفظ نفسه بجميع جوارحه عما لا يرضاه من فعل وقول) اهـ. نقلاً من «الفتح الربانى» (١٩/ ٩٠).

(٣) ما جمعه من الحواس الظاهرة والباطنة حتى لا يستعملها إلا فيما يحل.

(٤) أى: وما جمعه جوفه باتصاله به من القلب والفرج واليدين والرجلين، فلا يستعمل منها شيئًا فى معصية الله عز وجل.

(٥) لأن من ذكر أن عظامه تصير بالية، وأعضاؤه متمزقة هان عليه ما فاته من اللذات العاجلة، وأهمه ما يلزمه من طلب الآجلة، وعمل على إجلال الله وتعظيمه.

(٦) لأنهما ضرتان إذا أرضيت إحداهما أغضبت الأخرى، فمن أراد الله تعالى فليرفض جميع ما سواه استحياءً منه، بحيث لا يرى إلا إياه.

(٧) الإشارة إلى جميع ما مر، فمن أهمل من ذلك شيئًا، لم يخرج من عهدة الاستحياء.

استحيى من الله حق الحياء»[1].

وعن معاوية بن حيدة رضى الله عنه قلت: يا رسول الله عوراتنا ما نأتى منها وما نذر؟ قال: «احفظ عورتك إلا من زوجتك أو ما ملكت يمينك».

قلت: يا رسول الله إذا كان القوم بعضهم فى بعض؟

قال: «إن استطعت أن لا يرينَّها أحد فلا تُرينها أحدًا»،

قلت: «يا رسول الله إذا كان أحدنا خاليًا؟»

قال: «الله أحق أن يُستحيا منه من الناس»[2].

---

(١) رواه الإمام أحمد (١/ ٣٨٧)، والترمذى (٢٥٨٨) وقال: (هذا حديث غريب)، والحاكم (٤/ ٣٢٣)، وصححه، ووافقه الذهبى، وحسنه الألبانى فى «صحيح الترمذى» (٢/ ٢٩٩).

قال بعض العلماء: «يستحب لكل أحد صحيح أو مريض الإكثار من ذكر هذا الحديث بحيث يصير نُصْبَ عينيه، والمريض أولى».

(٢) رواه الإمام أحمد (٥/ ٣ - ٤)، وأبو داود (٤٠١٧)، والترمذى (٢٧٩٤)، (٢٧٦٩) وحسنه، والحاكم (٤/ ١٨٠)، وصححه، ووافقه الذهبى ورواه البيهقى (١/ ١٩٩)، وحسنه الألبانى فى «آداب الزفاف» (ص: ١١٢)، وهو محمول على الندب والكمال، وليس على ظاهره المفيد الوجوب، والله أعلم، وانظر: «فيض القدير» (٢/ ٢٢٨) حديث رقم (١٧٢٩)، و«المجموع» (٣/ ١٥٦).

الحياء خلق الإسلام

ولأجل عظيم أثره، وشرف قدره، تصدر الحياءُ طليعة الخصائص الأخلاقية لهذه الملة الحنيفية، فقد رُوى عن زيد بن طلحة عنه ﷺ أنه قال: «إن لكل دين خُلقًا، وخُلُق الإسلام الحياء»(١).

يعنى أن الغالب على أهل كل دين سجية سوى الحياء، والغالب على أهل ديننا الحياء، لأنه متمم لمكارم الأخلاق، وإنما بُعث المصطفى ﷺ لإتمامها، ولما كان الإسلام أشرف الأديان أعطاه الله أسنى الأخلاق وأشرفها، وهو الحياء(٢).

ما لكم لا ترجون لله وقارًا

قال الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ:

من أعظم الظلم والجهل أن تطلب التعظيم والتوقير لك من الناس وقلبك خالٍ من تعظيم الله وتوقيره، فإنك توقر

---

(١) رواه الإمام مالك فى «الموطأ» (٢/ ٩٠٥) مرسلاً، ووصله ابن ماجه رقم (٤١٨١)، (٤١٨٢)، وصححه الألبانى فى «صحيح ابن ماجه» (٢/ ٤٠٦).

(٢) الحياء خُلق الإسلام/ الشيخ محمد إسماعيل (ص: ٢٥).

المخلوق وتُجله أن يراك فى حال لا توقر الله أن يراك عليها، قال تعالى ﴿ما لكُم لا ترجُون لله وقاراً﴾، أى لا تعاملونه معاملة من توقرونه. والتوقير: العظمة. ومنه قوله تعالى: ﴿وتوقروه﴾، قال الحسن: ما لكم لا تعرفون لله حقًا ولا تشكرونه؟ وقال مجاهد: لا تبالون عظمة ربكم. وقال ابن زيد: لا ترون لله طاعة. وقال ابن عباس: لا تعرفون حق عظمته.

وهذه الأقوال ترجع إلى معنى واحد، وهو أنهم لو عظموا الله، وعرفوا حق عظمته، وحدوه وأطاعوه وشكروه. فطاعته سبحانه واجتناب معاصيه والحياء منه بحسب وقاره فى القلب[١].

إذا لم تستحى فاصنع ما شئت

عن أبى مسعود عُقبة بن عمرو الأنصارى البدرى رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستحى فاصنع ما شئت»[٢].

---

(١) الفوائد/ للإمام ابن القيم (ص: ٢٦٧).

(٢) أخرجه البخارى (١٠/٥٢٣/فتح) - وكذا فى الأدب المفرد (٥٩٧ - ١٣١٦).

* **فقوله** ﷺ: «إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى» يشير إلى أن هذا مأثور عن الأنبياء المتقدمين، وأن الناس تداولوه بينهم وتوارثوه عنهم قرنًا بعد قرن، وهذا يدل على أن النبوة المتقدمة جاءت بهذا الكلام وأنه اشتهر بين الناس حتى وصل إلى أول هذه الأمة . . .

* وقوله: «إذا لم تستحى، فاصنع ما شئت» فى معناه قولان:

أحدهما: أنه ليس بمعنى الأمر أن يصنع ما شاء، ولكنه على معنى الذم، والنهى عنه، وأهل هذه المقالة لهم طريقان: أحدهما أنه أمرٌ بمعنى التهديد والوعيد، والمعنى: إذا لم يكن حياء فاعمل ما شئت فالله يجازيك عليه كقوله: ﴿اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير﴾، وقوله: ﴿فاعبدوا ما شئتم من دونه﴾ . . .

والطريق الثانى: أنه أمر ومعناه الخبرُ، والمعنى أن من لم يستحى صنع ما شاء، فإن المانع من فعل القبائح هو الحياء، فمن لم يكن له حياء انهمك فى كل فحشاء ومنكر.

والقول الثانى: فى معنى قوله: «إذا لم تستحى، فاصنع

ما شئت»: أنه أمرٌ بفعل ما يشاء على ظاهر أمره، وأن المعنى إذا كان الذى يريد فعله، مما لا يستحى من فعله لا من الله ولا من الناس لكونه من أفعال الطاعات أو من جميل الأخلاق والآداب المستحسنة فاصنع منه حينئذ ما شئت، وهذا قول جماعة من الأئمة، منهم: إسحاق المروزى والشافعى.

وحكى مثله عن الإمام أحمد. . .

تقسيم الحياء إلى عشرة أوجه

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله -:

وقد قُسّم الحياء على عشرة أوجه:

١ - حياء الجناية:

فمنه: حياء آدم عليه السلام لما فر هاربًا فى الجنة، قال الله تعالى: أفرارًا منى يا آدم؟! قال: لا يا رب؛ بل حياءً منك.

* ومن ذلك ما كان من أمر (وحشى) رضى الله عنه الذى قتل عم النبى ﷺ حمزة (رضى الله عنه) فكان يقول: فكنت أتنكب رسول الله ﷺ حيث كان لئلا يرانى

حتى قبضه الله[١].

٢ ـ حياءُ التقصير:

كحياء الملائكة الذين يسبِّحون الليل والنهار لا يفتُرون، فإذا كان يوم القيامة قالوا: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك.

٣ ـ حياءُ الإجلال:

هو حياء المعرفة، وعلى حسب معرفة العبد بربه يكون حياؤه منه.

* ومن ذلك ما حدث فى قصة صُلح الحديبية عندما ذهب عروة بن مسعود للتفاوض مع النبى ﷺ فلما رأى من تعظيم الصحابة للنبى ﷺ ما رأى.. عاد إلى كفار قريش وقال:

أى قوم والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشى والله إن رأيت مليكا قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد ﷺ محمدًا، والله إن يتنخم نُخامة إلا وقعت فى كفِّ رجل منهم فدلك بها وجهه

---

(١) أخرجه البخارى مع الفتح (٧/ ٤٠٧٢) كتاب المغازى.

وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضّا كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون إليه النظر تعظيمًا له.

* ومن ذلك أيضًا ما كان من سعد بن معاذ (رضى الله عنه) فى قصة حُكمه على يهود بنى قريظة فإنه لمّا وصل سيد الأوس سعد بن معاذ إلى مقرِّ قيادة النبى ﷺ فى بنى قريظة؛ قال له النبى ﷺ: «احكمْ فيهم يا سعد». فقال: إن رسول الله ﷺ أحقُّ بالحكم. فقال النبى ﷺ: «قد أمَرَك الله أن تحكم فيهم».. غير أن سعدًا ـ وقد علم حرص قومه الأوس على التساهل فى الحكم على حلفائهم اليهود ـ أحبَّ أن يستوثق من الجميع، ويأخذ عليهم العهد ـ الأوس وبنى قريظة ـ بأنَّ حكمه إذا صدر يكون غير قابل للنقض أو النقاش. ووقف سعد بن معاذ فى المعسكر النبوى، ووجّه حديثه إلى قومه الأوس خاصَّة، وإلى مَنْ فى المعسكر عامَّة قائلاً: عليكم بذلك ـ عهد الله وميثاقه ـ أن الحكم كما حكمتُ؟ قالوا: نعم. ثم اتجه إلى النبى ﷺ وأشار إلى الناحية التى هو فيها، ثم قال وهو مُعرض عن رسول الله ﷺ إجلالاً وإكبارًا: وعلى مَنْ هاهنا؟ وأشار

إلى الخيمة التى فيها رسول الله ﷺ فقال عليه الصلاة والسلام: «نعم»[١]. ثم أشار إلى بنى قريظة المحجوزين جانبًا فى المعسكر؛ ليستوثق منهم قائلاً: أترضون بحكمى؟ قالوا: نعم. فحكم أن تُقتل المقاتلة، وأن تُسبى النساء والذُّرِّيَّة، وأن تقسَّم أموالهم. ولَمَّا نطق سعد ابن معاذ بالحكم، قال له النبى ﷺ: «حكمتَ فيهم بحكم الله مِن فوق سبع سماوات».

فانظرى إلى أدب سعد أثناء الحكم، وإشارته إلى خيمة رسول الله ﷺ وهو مُعرض عنها إجلالاً لرسول الله ﷺ.

* ومن ذلك ما يكون من حياء الأنبياء يوم القيامة عندما تذهب إليهم الخلائق يطلبون الشفاعة فيتذكر كل نبى ذنبه فيستحى من ربه (عز وجل).

ففى الحديث الذى رواه البخارى ومسلم عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يجمع الله الناس يوم القيامة، فيهتمون لذلك، فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا، حتى يُريحنا من مكاننا هذا؟ قال: فيأتون آدم، فيقولون: أنت آدم أبو الخلق، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من

(١) سيرة ابن هشام (٢/ ٢٤٠).

روحه، وأمر الملائكة فسجدُوا لك، اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا. فيقول: «لستُ هُناكم». فيذكر خطيئته التى أصاب، فيستحى ربه منها. . «ولكن ائتوا نوحًا: أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض». قال: فيأتون نوحًا، فيقول: «لستُ هناكم». فيذكر خطيئته التى أصاب، فيستحى ربه منها. . «ولكن ائتوا إبراهيم الذى اتخذه الله خليلاً». فيأتون إبراهيم، فيقول: «لستُ هناكم». وذكر خطيئته التى أصاب، فيستحيى ربه منها. «ولكن ائتوا موسى الذى كلمه الله، وأعطاه التوراة». قال: فيأتون موسى، فيقول: «لستُ هناكم». ويذكر خطيئته التى أصاب، فيستحيى ربه منها. . . «ولكن ائتوا عيسى روح الله وكلمته». فيأتون عيسى روح الله وكلمته، فيقول: «لستُ هناكم، ولكن ائتوا محمدًا؛ عبدًا غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر». قال: قال رسول الله ﷺ: فيأتوننى، فأستأذن على ربى، فيؤذن لى، فإذا أنا رأيتُه وقعتُ ساجدًا، فيدعنى ما شاء الله، فيُقال: يا محمد، ارفع؛ قل يُسمع، سل تعطه، اشفع تُشفع».

* ومنه حياء عمرو بن العاص رضى الله عنه؛ كان

يقول: «والله، إن كنتُ لأشد الناس حياءً من رسول الله ﷺ، فما ملأتُ عينى من رسول الله ﷺ، ولا راجعتُه بما أريد، حتى لحق بالله عز وجل؛ حياءً منه»(١).

وفى رواية: «إنه لم يكن شخص أبغض إلىَّ منه - يعنى النبى ﷺ - فلما أسلمت لم يكن شخصٌ أحب إلى منه، ولا أجلَّ فى عينى منه، ولو سُئلت أن أصفه لكم لما أطقتُ، لأنى لم أكن أملأ عينى إجلالاً له».

٤ - حياءُ الكرم:

كحياء النبى ﷺ من القوم الذين دعاهم إلى وليمة زينب، وطولوا الجلوس عنده، فقام واستحيا أن يقول لهم: انصرفوا،

٥ - حياءُ الحشمَة:

كحياء على بن أبى طالب أن يسأل رسول الله ﷺ عن المذى، لمكان ابنته منه: فعن على رضى الله عنه قال: كنتُ رجلاً مذاءً، فأمرتُ المقداد أن يسأل النبى ﷺ فسأله، فقال: «فيه الوضوء». ولفظه فى رواية أخرى: كنتُ رجلاً

(١) رواه أحمد فى مسنده (٤/ ٢٠٤).

مذاءً، فأمرت رجلاً أن يسأل النبي ﷺ - لمكان ابنته - فسأل، فقال: «توضأ واغسل ذكرك»[1].

٦ - حياء الاستحقار واستصغار النفس:

كحياء العبد من ربه عز وجل حين يسأله حوائجه، احتقارًا لشأن نفسه، واستصغارًا لها. وفي أثر إسرائيل: «أن موسى عليه السلام قال: يا رب إنه لتعرض لي الحاجة من الدنيا، فأستحيي أن أسالك إياها يارب. فقال الله تعالى: سلني... حتى ملح عجينتك، وعَلَف شاتك».

وقد يكون لهذا النوع سببان:

أحدهما: استحقار السائل نفسه واستعظام ذنوبه وخطاياه.

الثاني: استعظام مسئوله.

وكحال من قال: إني لأستحيي أن أسال ربي الدنيا وهو مالكها، فكيف أسألها غير مالكها.

٧ - حياءُ المحبَّة:

هو حياء المحبّ من محبوبه، حتى إنه إذا خطر على

(١) أخرجه البخاري واللفظ له - ومسلم والنسائي وأبو داود.

قلبه في غيبته؛ هاج الحياء من قلبه وأحس به في وجهه ولا يدرى ما سببه، وكذلك يعرض للمحب عند ملاقاته محبوبه ومفاجأته له: روعةٌ شديدة. ولا ريب أن للمحبة سلطانًا قاهرًا للقلب أعظم من سلطان من يقهر البدن، فأين من يقهر قلبك وروحك إلى من يقهر بدنك؟! ولذلك تعجبت الملوك والجبابرة من قهرهم للخلق وقهر المحبوب لهم وذلهم له، فإذا فاجأ المحبوب محبه، ورآه بغتةً؛ أحسن القلب بهجوم سلطانه عليه، فاعتراه روعة وخوف.

٨ ـ حياءُ العبودية:

هو حياء ممتزج من محبة وخوف، ومشاهدة عدم صلاح عبوديته لمعبوده، وأن قدره أعلى وأجلّ منها، فعبوديته له تستوجب استحياءه منه، لا محالة.

٩ ـ حياء الشرف والعزة:

أما حياء الشرف والعزة: فحياء النفس العظيمة الكبيرة إذا صدر منها ما هو دون قدرها؛ من بذل أو عطاء وإحسان؛ فإنه يستحى ـ مع بذله ـ حياء شرف نفّس وعزة؛ وهذا له سببان:

أحدهما: هذا. والثاني: استحياؤه من الآخذ، حتى كأنه

هو الآخذ السائل؛ حتى إن بعض أهل الكرم لا تُطاوعه نفسه بمواجهته لمن يُعطيه حياءً منه، وهذا يدخل فى حياء التلوم؛ لأنه يستحيى من خجلة الآخذ.

١٠ ـ حياءُ المرء من نفسه:

وأما حياء المرء من نفسه: فهو حياء النفوس الشريفة العزيزة الرفيعة من رضاها لنفسها بالنقص، وقناعتها بالدون، فيجد نفسه مُستحييًا من نفسه حتى كأن له نفسين، يستحيى بإحداهما من الأخرى، وهذا أكمل ما يكون من الحياء؛ فإن العبد إذا استحيا من نفسه، فهو بأن يستحيى من غيره أجدر [1].

كثرة الذنوب .... وذهاب الحياء

قال الإمام ابن القيم من خلال كلامه عن عقوبات الذنوب والمعاصى:

ومن عقوباتها: ذهاب الحياء الذى هو مادة حياة القلب، وهو أصل كل خير، وذهابه ذهاب كل خير بأجمعه.

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ٢٧٢ : ٢٧٤) بتصرف.

والمقصود: أن الذنوب تضعف الحياء من العبد حتى ربما انسلخ منه بالكلية، حتى إنه ربما لا يتأثر بعلم الناس بسوء حاله ولا باطلاعهم عليه، بل كثير منهم يخبر هو عن حاله وقبح ما يفعله، والحامل له على ذلك انسلاخه من الحياء، وإذا وصل العبد إلى هذه الحال لم يبق في صلاحه مطمع.

وإذا رأى إبليسُ طلعة وجهه

حيًّا وقال: فديت مَنْ لا يفلحُ

والحياء مشتق من الحياة والغيث يسمى حيًا - بالقصر - لأنه به حياة الأرض والنبات والدواب، وكذلك سميت بالحياء حياة الدنيا والآخرة، فمن لا حياء فيه فهو ميت في الدنيا شقي في الآخرة، وبين الذنوب وبين قلة الحياء وعدم الغيرة تلازم من الطرفين، وكل منهما يستدعي الآخر ويطلبه حثيثا، ومن استحى من الله عند معصيته استحى الله من عقوبته يوم يلقاه ومن لم يستحي من الله تعالى عند معصيته لم يستحي الله من عقوبته[1].

* * *

---

(١) الداء والدواء/ للإمام ابن القيم (ص: ٨٨: ٩٠) بتصرف.

إن معكم من لا يفارقكم فاستحيوا منهم

قال بعض السلف: إذا أصبح العبد ابتدره الملك والشيطان، فإن ذكر الله وكبَّره وحمده وهلله طرد الملك الشيطان وتولاه، وإن افتتح بغير ذلك ذهب الملك عنه وتولاه الشيطان.

ولا يزال الملك يقرب من العبد حتى يصير الحكم والطاعة والغلبة له فتتولاه الملائكة فى حياته وعند موته وعند بعثه.

كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾ (فصلت: ٣٠ - ٣١).

وإذا تولاه الملك تولاه أنصح الخلق له، وأنفعهم وأبرهم فثبته وعلمه، وقوى جنانه، وأيده، قال الله تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ (الأنفال: ١٢). فيقول له الملك عند الموت «لا تخف ولا تحزن وأبشر

بالذى يسرك»[1] ويثبته بالقول الثابت أحوج ما يكون إليه فى الحياة الدنيا، وعند الموت، وفى القبر عند المسألة.

فليس أحد أنفع للعبد من صحبة الملك له، وهو وليه فى يقظته ومنامه، وحياته وعند موته وفى قبره، ومؤنسه فى وحشته، وصاحبه فى خلوته، ومحدثه فى سره ويحارب عنه عدوه، ويدافع عنه ويعينه عليه، ويعده بالخير ويبشره به، ويحثه على التصديق بالحق.

وإذا اشتد قرب الملك من العبد تكلم على لسانه، وألقى على لسانه القول السديد، وإذا بعد منه وقرب الشيطان، تكلم على لسانه، وألقى عليه قول الزور والفحش، حتى يرى الرجل يتكلم على لسانه الملك، والرجل يتكلم على لسانه الشيطان.

وفى الحديث «إن السكينة تنطق على لسان عمر رضى الله عنه»[2] وكان أحدهم يسمع الكلمة الصالحة من الرجل

---

(١) «صحيح» رواه أحمد فى المسند (٤/٢٨٧)، والحاكم فى المستدرك (١/٣٧)، وهو حديث البراء ابن عازب الطويل (فى عذاب القبر ونعيمه)، وأورده الشيخ الألبانى فى «صحيح الجامع» (١٦٧٦).

(٢) «حسن» وهو موقوف على علىّ رضى الله عنه... أورده الحافظ الهيثمى فى «المجمع» (٩/٦٧)، وقال: رواه الطبرانى فى الأوسط وإسناده حسن.

الصالح فيقول: ما ألقاه على لسانك إلا الملك، ويسمع ضدها، فيقول: ما ألقاها على لسانك إلا الشيطان، فالملك يلقى بالقلب الحق، ويلقيه على اللسان، والشيطان يلقى الباطل فى القلب ويجريه على اللسان.

فمن عقوبة المعاصى: أنها تبعد من العبد وليه الذى سعادته فى قربه ومجاورته وموالاته، وتدنى منه عدوه الذى شقاؤه وهلاكه وفساده فى قربه وموالاته، حتى إن الملك لينافح عن العبد، ويرد عنه إذا سفه عليه السفيه وسبه، كما «اختصم بين يدى النبى ﷺ رجلان، فجعل أحدهما يسب الآخر، وهو ساكت، فتكلم بكلمة يرد بها على صاحبه، فقام النبى ﷺ فقال: يا رسول الله لما رددت عليه بعض قوله قمت؟ فقال: «كان الملك ينافح [*] عنك، فلما رددت عليه جاء الشيطان فلم أكن لأجلس» [1].

* وإذا دعا العبد المسلم بظهر الغيب لأخيه أمَّن الملك

(*) ينافح عنك: أى يذب عنك، والمنافحة: المدافعة والمضارة.

(١) «حسن» رواه أبو داود (٤٨٩٧)، من حديث أبى هريرة رضى الله عنه، وانظر صحيح أبى داود (ح٤٠٩٤)، وأورده الشيخ الألبانى فى صحيح الجامع (٦٧٥٨)، وقال: «حسن» وراجع الصحيحة (٢٣٧٦).

على دعائه فقال: «ولك بمثله»(١) (وإذا فرغ من قراءة الفاتحة أمَّن على دعائه)(٢)، (فإذا أذنب العبد الموحد المتبع لسبيله وسنة رسوله ﷺ استغفر له حملة العرش ومن حوله)، (وإذا نام على وضوء بات فى شعاره(*) ملك(٣)، فملك المؤمن يرد عنه ويحارب ويدافع عنه ويعلمه، ويثبته ويشجعه. فلا يليق به أن يسىء جواره ويبالغ فى أذاه وطرده عنه وإبعاده، فإنه ضيفه وجاره.

وإذا كان إكرام الضيف من الآدميين والإحسان إلى الجار

---

(١) «صحيح» أخرجه مسلم فى «صحيحه»، فى الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: فضل الدعاء للمسلمين بظهر الغيب (ح٢٧٣٢)، وأوله: «ما من عبد مسلم يدعو لأخيه..».

(٢) «متفق على صحته» رواه البخارى فى الأذان، باب: جهر الإمام بالتأمين (٣٠٦/٢) (ح٧٨٠)، ومسلم فى الصلاة، باب: التسميع والتحميد والتأمين (ح٤١٠)، وأوله: «إذا أمّن الإمام فأمّنوا...».

(*) الشعار: الثوب، الذى يلى الجسد لأنه يلى شعره، غريب الحديث لابن الأثير (٢/ ٤٨٠).

(٣) «حسن بشواهده» أورده الحافظ فى (الفتح ١١/ ١١٣)، وعزاه إلى ابن حبان فى صحيحه من حديث ابن عمر رفعه، وقال: أخرج الطبرانى فى «الأوسط» من حديث ابن عباس نحوه بسند جيد، وله شاهد أورده الشيخ الألبانى فى «صحيح الجامع» من حديث معاذ (٥٧٥٤) وقال: صحيح.

من لوازم الإيمان وموجباته، فما الظن بإكرام أكرم الأضياف، وخير الجيران وأبرهم؟ وإذا آذى العبدُ الملك بأنواع المعاصى والظلم والفواحش دعا عليه ربه وقال: «لا جزاك الله خيرا» كما يدعو له إذا أكرمه بالطاعة والإحسان.

قال بعض الصحابة رضى الله عنهم «إن معكم من لا يفارقكم، فاستحيوا منهم، وأكرموهم». ولا ألأم ممن لا يستحيى من الكريم العظيم القدر، ولا يكرمه ولا يوقره، وقد نبه سبحانه على هذا المعنى بقوله: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ (١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾

(الانفطار: ١٠:١٢)

أى استحيوا من هؤلاء الحافظين الكرام وأكرموهم وأجلّوهم أن يروا منكم ما تستحيون أن يراكم عليه من هو مثلكم، والملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم، فإذا كان ابن آدم يتأذى ممن يفجر ويعصى بين يديه - وإن كان قد يعمل مثل عمله - فما الظن بأذى الكرام الكاتبين؟ والله المستعان[1].

(١) الداء والدواء/ للإمام ابن القيم (ص: ١٣٨: ١٤١) بتصرف.

▭▭ درجـات الحـيـاء ▭▭

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: حياءٌ يتولد من علم العبد بنظر الحق إليه؛ فيجذبه إلى تحمل هذه المجاهدة، ويحمله على استقباح الجناية، ويُسكتهُ عن الشكوى»:

قال ابن القيم: «يعني: أن العبد متى علم أن الرب تعالى ناظر إليه، أورثه هذا العلم حياءً منه، يجذبه إلى احتمال أعباء الطاعة؛ مثل العبد إذا عمل الشغل بين يدي سيده؛ فإنه يكون نشيطًا فيه محتملاً لأعبائه، ولا سيما مع الإحسان من سيده إليه، ومحبته لسيده؛ بخلاف ما إذا كان غائبًا عن سيده. والرب تعالى لا يغيب نظرُه عن عبده، ولكن يغيب نظرُ القلب والتفاتُه إلى نظره سبحانه إلى العبيد؛ فإن القلب إذا غاب نظُره، وقلَّ التفاته إلى نظر الله تبارك وتعالى إليه؛ تولد من ذلك قلة الحياء والقِحة.

وكذلك يحمله على استقباح جنايته، وهذا الاستقباح الحاصل بالحياء قدرٌ زائد على استقباح ملاحظة الوعيد، وهو فوقه.

وأرفع منه درجةً: **الاستقباحُ الحاصل عن المحبة**. فاستقباح المحب أتم من استقباح الخائف. ولذلك فإن هذا الحياء يكف العبد أن يشتكى لغير الله، فيكون قد شكا الله إلى خلقه، ولا يمنع الشكوى إليه سبحانه؛ فإن الشكوى إليه سبحانه فقر وذلة، وفاقة وعبودية، فالحياء منه فى مثل ذلك لا ينافيها».

الدرجة الثانية: «حياء يتولد من النظر فى علم القرب، فيدعوه إلى رُكوب المحبة، ويربطه بروح الأنس، ويُكرهُ إليه ملابسة الخلق»:

قال ابن القيم: النظر فى علم القرب: تحقق القلب بالمعية الخاصة مع الله؛ فإن المعية نوعان:

عامة: وهى: معية العلم والإحاطة؛ كقوله تعالى: ﴿ **وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ** ﴾ (الحديد: ٤). وقوله: ﴿ **مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا** ﴾ (المجادلة: ٧).

وخاصة: وهى معية القرب؛ كقوله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ** ﴾ (النحل: ١٢٨). وقوله: ﴿ **إِنَّ**

اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (البقرة: ١٥٣). وقوله: **﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾** (العنكبوت: ٦٩).

فهذه معية قرب تتضمن الموالاة والنصر والحفظ، وكلا المعنيين مصاحبة منه للعبد، ولكن هذه مصاحبة اطلاع وإحاطة، وهذه مصاحبة موالاة ونصر وإعانة. فـ «مع» فى لغة العرب: تفيد الصحبة اللائقة، لا تُشعر بامتزاج ولا اختلاط، ولا مجاورة ولا مجانبة. فمن ظن منها شيئًا من هذا فمن سُوء فهمه أتى.

وأما القرب: فلا يقع فى القرآن إلا خاصًا؛ وهو نوعان: قربه من داعيه بالإجابة. وقربه من عابده بالإثابة.

فالأول: كقوله تعالى: **﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾** (البقرة: ١٨٦). ولهذا نزلت جوابًا للصحابة رضى الله عنهم. وقد سألوا رسول الله ﷺ: ربنا قريب فنناجيه، أم بعيد فنناديه؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية.

والثانى: قوله ﷺ: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، وأقرب ما يكون الرب من عبده فى جوف الليل».

فهذا قربه من أهل طاعته.

وفى الصحيح: عن أبى موسى رضى الله عنه، قال: كنا مع النبى ﷺ فى سفر، فارتفعت أصواتنا بالتكبير، فقال: «يا أيها الناس، اربعوا على أنفسكم؛ إنكم لا تدعون أصم ولا غائبًا، إن الذى تدعونه سميع قريب، أقرب إلى أحدكم من عُنق راحلته».

فهذا قرب خاصٌ بالداعى دعاء العبادة والثناء والحمد، وهذا القرب لا ينافى كمال مباينة الرب لخلقه، واستواءه على عرشه. بل يجامعه ويلازمه؛ فإنه ليس كقرب الأجسام بعضها من بعض؛ تعالى الله عن ذلك علُوًا كبيرًا، ولكنه نوع آخر، والعبد فى الشاهد يجد روحه قريبة جدًا من محبوبٍ بينه وبينه مفاوز تتقطع فيها أعناق المطى، ويجده أقرب إليه من جليسه. كما قيل:

ألا رُب من يدنـو ويزعُـمُ أنـهُ

يحبك والنائى أحبُّ وأقربُ

وأهل السنة أولياء رسول الله ﷺ وورثته وأحباؤه، الذين هو عندهم أولى بهم من أنفسهم، وأحب إليهم

منها: يجدون نفوسهم أقرب إليه، وهم فى الأقطار النائية عنه من جيران حجرته فى المدينة. والمحبون المشتاقون للكعبة والبيت الحرام يجدون قلوبهم وأرواحهم أقرب إليها من جيرانها ومن حولها. هذا مع عدم تأتى القرب منها، فكيف بمن يقرب من خلقه كيف يشاء، وهو مستوٍ على عرشه. وأهل الذوق لا يلتفتون فى ذلك إلى شبهة معطل بعيد من الله، خلى من محبته ومعرفته.

والقصد: أن هذا القرب يدعو صاحبه إلى ركوب المحبة، وكلما ازداد حبًا ازداد قربًا، فالمحبة بين قربين: قرب قبلها، وقرب بعدها. وبين معرفتين: معرفة قبلها حملت عليها، ودعت إليها، ودلت عليها، ومعرفة بعدها، هى من نتائجها وآثارها.

وأما ربطه بروح الأنس: فهو تعلق بروح الأنس بالله، تعلقًا لازمًا لا يفارقه، بل يجعل بين القلب والأنس رابطة لازمة، ولا ريب أن هذا يُكره إليه ملابسة الخلق، بل يجد الوحشة فى ملابستهم بقدر أنسه بربه، وقرة عينه بحبه وقربه منه، فإنه ليس مع الله غيره؛ فإن لابسهم لابسهم برسمه دون سره ورُوحه وقلبه، فقلبه وروحه فى ملإ،

وبدنه ورسمه فى ملإ.

الدرجة الثالثة: «حياءٌ يتولد من شُهود الحضرة، وهى التى لا تشوبها هيبة، ولا تقارنها تفرقة، ولا يُوقف لها على غاية»:

قال ابن القيم: «شهود الحضرة: انجذاب الروح والقلب من الكائنات، وعُكوفه على رب البريات؛ فهو فى حضرة قربه مشاهدًا لها، وإذا وصل القلبُ إليها غشيته الهيبةُ وزالت عنه التفرقة؛ إذ ما مع الله سواه، فلا يخطر بباله فى تلك الحال سوى الله وحده، وهذا مقام الجمعية.

وأما قوله: «ولا يُوقف لها على غاية»: فيعنى أن كل من وصل إلى مطلوبه وظفر به؛ وصل إلى الغاية، إلا صاحب هذا المشهد؛ فإنه لا يقف بحضرة الربوبية على غاية، فإن ذلك مستحيل، بل إذا شهد تلك الروابى، ووقف على تلك الربوع، وعاين الحضرة التى هى غاية الغايات، شارف أمرًا لا غاية له ولا نهاية. والغايات والنهايات كلها إليه تنتهى ﴿**وأن إلى ربك المنتهى**﴾ (النجم: ٤٢). فانتهت إليه الغايات والنهايات. وليس له سبحانه غاية

ولا نهاية؛ لا فى وجوده، ولا فى مزيد جوده؛ إذ هو «الأول» الذى ليس قبله شىء، و «الآخر» الذى ليس بعده شىء. ولا نهايه لحمده وعطائه، بل كلما ازداد له العبد شكرًا زاده فضلاً، وكلما ازداد له طاعة زاده لمجده مثوبة، وكلما ازداد منه قُربًا لاح له من جلاله وعظمته ما لم يشاهده قبل ذلك.. وهكذا أبدًا لا يقف على غاية ولا نهاية. ولهذا جاء: «إن أهل الجنة فى مزيد دائم بلا انتهاء»؛ فإن نعيمهم متصل ممن لا نهاية لفضله ولا لعطائه، ولا لمزيده ولا لأوصافه. فتبارك الله ذو الجلال والإكرام؛ **﴿إن هذا لرزقُنا ما له من نفَاد﴾** (ص: ٥٤). (يا عبادى، لو أن أولكُم وآخركم وإنسكُم وجنكُم قاموا فى صعيد واحد، فسألونى، فأعطيتُ كل إنسان مسألته: ما نقص ذلك مما عندى إلا كما ينقص المخيطُ إذا أُدخل البحر)»[1].

لا يتعلم العلم مُستحٍ ولا مستكبر

وإذا كان حديثنا عن الحياء فينبغى أن نعرف أن هناك أشياء يصبح الحياء فيها مذمومًا... ومنها على سبيل المثال:

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ٢٧٥: ٢٧٩) بتصرف.

* الحياء فى طلب العلم.. فقد تمكث الأخت زمانًا طويلاً لا تطلب العلم حياءً من أن تسأل غيرها وتظل على هذا الحال إلى أن يضيع عمرها كله بلا علم فتتجرع مرارة الجهل وتندم على عمرها الذى مضى.

* عن سعيد بن المسيب أن أبا موسى قال لعائشة: «إنى أريد أن أسألك عن شىء، وأنا أستحى منك»، فقالت: «سل، ولا تستحى فإنما أنا أمك»، فسألها عن الرجل يغشى ولا ينزل، فقالت عن النبى ﷺ: «إذا أصاب الختانُ الختان فقد وجب الغُسل»[1].

وقال البخارى: (قال مجاهد: «لا يتعلم العلم مُستحى ولا مستكبر»، وقالت عائشة رضى الله عنها: «نعم النساء نساء الأنصار، لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن فى الدين»[2].

* وعن الأسود ومسروق قالا: (أتينا عائشة لنسألها عن المباشرة للصائم، فاستحينا، فقمنا قبل أن نسألها، فمشينا لا أدرى كم، ثم قلنا: جئنا لنسألها عن حاجة، ثم نرجع

(١) أخرجه مسلم (٣٤٩) الحيض - وأحمد (٦/ ٩٧) - والترمذى (١٠٨) الطهارة.

(٢) فتح البارى (١/ ٢٢٩).

قبل أن نسألها، فرجعنا، فقلنا: «يا أم المؤمنين إنا جئنا لنسألك عن شئ، فاستحينا، فقمنا»، فقالت: «ما هو؟ سلا عما بدا لكما»، قلنا: «أكان النبى ﷺ يباشر وهو صائم؟» قالت: «قد كان يفعل ذلك، ولكنه كان أملك لإربه منكم»)[١].

* وعن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وهى مثل المسلم، حدثونى ما هى؟»، فوقع الناس فى شجر البادية، ووقع فى نفسى أنها النخلة، قال عبد الله: «فاستحييت»، فقالوا: «يا رسول الله أخبرنا بها»، فقال رسول الله ﷺ: «هى النخلة»، قال عبد الله: فحدثت أبى بما وقع فى نفسى، فقال: «لأن تكون قلتها أحب إلىَّ من أن يكون لى كذا وكذا»[٢].

* قال الحافظ: (وكان يمكنه إذا استحيى إجلالاً لمن هو أكبر منه أن يذكر ذلك لغيره سرًا ليخبر به عنه، فيجمع بين المصلحتين، ولهذا عقبه المصنف - أى البخارى - بباب من

(١) أخرجه البخارى/ كتاب الصوم - ومسلم (١١٠٦) - والترمذى (٧٢٧).
(٢) أخرجه البخارى (١/ ٢٢٩/ فتح).

استحيى فأمر غيره بالسؤال)[1].

▭▭ آدم (عليه السلام) ▭▭

* عن الحسن عن أُبى بن كعب رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: (إن آدم عليه السلام كان رجلاً طوالاً كأنه نخلةٌ سحُوقٌ[2] كثيرُ شعر الرأس، فلما وقع بما وقع به بدت له عورتُه، وكان لا يراها قبل ذلك، فانطلق هاربًا فأخذت برأسه شجرةٌ من شجر الجنة، فقال لها: «أرسلينى» قالت: «لست مُرسلتك»، قال: فناداه ربه عز وجل: «أمنى تفرُّ؟»، قال: «أى رب ألا أستحييك؟» قال: فناداه: «وإن المؤمن يستحيى ربه عز وجل من الذنب إذا وقع به، ثم يعلمُ بحمد الله أين المخرج، يعلم أن المخرج فى الاستغفار والتوبة إلى الله عز وجل»)[3].

▭▭ إن موسى كان رجلاً حييًا ستيرًا ▭▭

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا

---

(1) فتح البارى (1/ 230).

(2) النخلة السحوق: الطويلة التى بعد ثمرها على المجتنى.

(3) أخرجه الإمام أحمد فى «الزهد» (ص: 48) مرسلاً، فإن الحسن لم يدرك أبيًا، وأخرجه الحاكم موصولاً (2/ 262) عن الحسن عن يحيى بن ضمرة (ولعله: عُتَىُّ بن ضمرة)، وقال الحاكم: «صحيح الإسناد، ولم يخرجاه».

﴿مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾ (الأحزاب: ٦٩).

أى لا تكونوا أمثال بنى إسرائيل الذين آذوا نبيهم موسى واتهموه ببرص فى جسمه أو أدرة لفرط تستره وحيائه، فأظهر الله براءته وأكذبهم فيما اتهموه به... روى البخارى عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إن موسى كان رجلاً حييًا ستيرًا، لا يُرى من جلده شىء استحياء منه، فآذاه من آذاه من بنى إسرائيل فقالوا: ما يتستر هذا التستر إلا من عيب بجلده، إما برص وإما أدرة - انتفاخ الخصية - وإما آفة، وإن الله أراد أن يبرئه مما قالوا لموسى، فخلا يومًا وحده فوضع ثيابه على الحجر ثم اغتسل، فلما فرغ أقبل على ثيابه ليأخذها وإن الحجر عدا بثوبه، فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر فجعل يقول: ثوبى حجر، ثوبى حجر، حتى مر على ملأ من بنى إسرائيل فرأوه أحسن ما خلق الله عريانًا، وأبرأه مما يقولون) الحديث[1] ﴿وكان عند الله وجيهًا﴾ أى وكان موسى ذا وجاهة ورفعة ومكانة عند ربه... قال ابن كثير: أى له وجاهة وجاه عند ربه، لم يسأل شيئًا إلا أعطاه[2].

---

(١) أخرجه البخارى (٦/ ٣١٢). (٢) مختصر تفسير ابن كثير (٣/ ١١٦).

فجاءته إحداهما تمشى على استحياء

قال تعالى: ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (القصص: ٢٥). جاءته «تمشى على استحياء» مشية الفتاة الطاهرة الفاضلة العفيفة النظيفة حين تلقى الرجال. «على استحياء». فى غير ما تبذل ولا تبرج ولا تبجح ولا إغواء. جاءته لتنهى إليه دعوة فى أقصر لفظ وأخصره وأدله، يحكيه القرآن بقوله: «إن أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا» فمع الحياء الإبانة والدقة والوضوح؛ لا التلجلج والتعثر والربكة. وذلك كذلك من إيحاء الفطرة النظيفة السليمة المستقيمة. فالفتاة القويمة تستحى بفطرتها عند لقاء الرجال والحديث معهم. ولكنها لثقتها بطهارتها واستقامتها لا تضطرب الاضطراب الذى يطمع ويغرى ويهيج؛ إنما تتحدث فى وضوح بالقدر المطلوب، ولا تزيد[١].

قال عمر بن الخطاب (رضى الله عنه»: «جاءت تمشى

(١) فى ظلال القرآن (٥/ ٢٦٨٦: ٢٦٨٧).

على استحياء قائلةً بثوبها على وجهها ليست بسلفع [١] من النساء خرَّاجة ولاجة» [٢].

حيــاء الحبيب ﷺ

* عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: (كان رسول الله ﷺ أشد حياءً من العذراء فى خدرها، فإذا رأى شيئًا يكرهه، عرفناه فى وجهه» [٣].

* وعن عائشة رضى الله عنه قالت: (سألت امرأة النبى ﷺ كيف تغتسل من حيضتها؟ قالت: فذكرت أنه علمها كيف تغتسل، ثم تأخذ فرصة من مسك فتطهر بها قالت: «كيف أتطهر بها؟»، قال: «تطهرى بها، سبحان الله!» واستتر بيده على وجهه، قالت عائشة: واجتذبتها إلىَّ، وعرفت ما أراد النبى ﷺ فقلت: تتبعى بها أثر الدم) [٤].

* ومن حياء رسول الله ﷺ ما رواه مالك بن صعصعة رضى الله عنه من تردد النبى ﷺ بين ربه وبين موسى،

---

(١) السلفع: الجريئة السليطة قليلة الحياء.

(٢) ذكره ابن كثير فى تفسيره من رواية ابن أبى حاتم وصححه.

(٣) أخرجه البخارى (١٠/ ٤٣٤) - ومسلم (٢٣٢٠).

(٤) أخرجه مسلم (٤/ ١٥ - نووى).

وسؤاله ربه التخفيف - فى الصلاة - حتى جعلها خمسًا، فقال له موسى عليه السلام: «ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك»، قال: «سألت ربى حتى استحييت، ولكن أرضى وأسلم»[١].

فاطمة بنت رسول الله ﷺ (ورضى الله عنها)

* لما أتت فاطمة رضى الله عنها رسول الله ﷺ تسأله خادمًا، فقال: «ما جاء بك يا بنية؟»، فقالت: «جئت أسلم عليك»، واستحيت، حتى إذا كانت القابلة، أتته، فقالت مثل ذلك..) وفى بعض روايات هذه القصة:

(أن رسول الله ﷺ جاءها وعليًا وقد أخذا مضاجعهما) الحديث وفيه: (فجلس عند رأسها، فأدخلت رأسها فى اللفاع، حياءً من أبيها)[٢].

وعن أنس رضى الله عنه: (أن رسول الله ﷺ أتى فاطمة بعبدٍ قد وهبه لها، قال: وعلى فاطمة رضى الله عنها ثوبٌ، إذا قنعت به رأسها، لم يبلغ رجليها، وإذا غطت به رجليها، لم يبلغ رأسها، فلما رأى النبى ﷺ ما

(١) أخرجه البخارى (٥/ ٦٦) - شرح النووى (٢/ ٢٠٩ - ٢١٥).
(٢) رواه البخارى (١١/ ١٢١/ فتح).

تلقى قال: «إنه ليس عليك بأسٌ، إنما هو أبوك وغلامُك»(١).

عائشة (رضى الله عنها) وحياءٌ يعجز القلم عن وصفه

إن المرأة المؤمنة بفطرتها التقية تستحى من أى رجل حتى ولو كان زوجها... فما ظنك بمن لا تستحى من الأحياء فحسب بل تستحى من الأموات!!!.

إنها أمنا الطاهرة التقية (عائشة) رضى الله عنها وعن أبيها.

* عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها قالت: كنت أدخل البيت الذى دُفن فيه رسول الله ﷺ وأبى رضى الله عنه واضعةً ثوبى، وأقول: «إنما هو زوجى وأبى»، فلما دُفن عمر رضى الله عنه، والله ما دخلتهُ إلا مشدودةً علىَّ ثيابى حياءً من عمر رضى الله عنه»(٢).

---

(١) أخرجه أبو داود (٤١٠٦)، والبيهقى (٧/ ٩٥)، وصححه فى «الإرواء» (٦/ ٢٠٦).

(٢) رواه بنحوه الحاكم فى «المستدرك» (٤/ ٧) وصححه على شرط الشيخين، وسكت عنه الذهبى.

فاطمة بنت عتبة (رضى الله عنها)

* جاءت فاطمة بنت عتبة رضى الله عنها تبايع رسول الله ﷺ فأخذ عليها: ﴿أن لا يشركن بالله شيئًا ولا يسرقن ولا يزنين﴾ الآية، فوضعت يدها على رأسها حياءً، فأعجبه ما رأى منها، فقالت عائشة رضى الله عنها: «أقرى أيتها المرأة، فوالله ما بايعنا إلا على هذا»، قالت: «فنعم. إذن»، فبايعها بالآية[١].

ملائكة الرحمن تستحى من عثمان (رضى الله عنه)

ويا لها من منقبة عظيمة لا توازيها الدنيا بكل ما فيها.

فعن عائشة رضى الله عنها أنها قالت: كان رسول الله ﷺ مضطجعًا فى بيتى كاشفًا عن فخذيه أو ساقيه، فاستأذن أبو بكر فأذن له، وهو على تلك الحال فتحدث ثم استأذن عمر فأذن له وهو كذلك فتحدث، ثم استأذن عثمان فجلس رسول الله وسوَّى ثيابه فدخل فتحدث فلما خرج قالت عائشة: دخل أبو بكر فلم تهتش له ولم تُباله

(١) رواه الإمام أحمد فى المسند (٦/ ١٥١).

ثم دخل عمر فلم تهتش له ولم تُباله، ثم دخل عثمان فجلست وسويت ثيابك! فقال: «ألا أستحى من رجل تستحى منه الملائكة»[١].

وفى رواية: فقالت عائشة: يا رسول الله مالى لم أرك فزعت لأبى بكر وعمر رضى الله عنهما كما فزعت لعثمان؟ قال رسول الله ﷺ: «إن عثمان رجلٌ حييٌّ، وإنى خشيتُ إن أذنت له على تلك الحال أن لا يبلغ إلىَّ فى حاجته»[٢] ـ أى يستحى فيخرج من غير أن يطلب حاجته التى جاء من أجلها ـ.

قال عثمان رضى الله عنه: ما من عامل يعمل عملاً إلا كساه الله رداء عمله.

وقال يحيى بن معاذ: من استحيا من الله مطيعًا، استحيا الله منه وهو مذنب.

قال المناوى: مقام عثمان مقام الحياء، والحياء فرع يتولد من إجلال من يشاهده ويعظم قدره، مع نقص يجده فى

---

(١) أخرجه مسلم (٢٤٠١) عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ.

(٢) أخرجه مسلم (٢٤٠٢) وأحمد (١/ ٧٧) والبخارى فى الأدب المفرد (٦٠٠).

النفس، فكأنه غلب عليه إجلال الحق تعالى، ورأى نفسه بعين النقص والتقصير، وهما من جليل خصال العباد المقربين، فعلت رتبة عثمان كذلك، فاستحيت منه خلاصة الله من خلقه، كما أن مَن أحب الله أحب أولياءه، ومن خاف الله خاف منه كل شيء(١).

والجزاء من جنس العمل.

وقال ﷺ: «عثمان أحيى أمتى»(٢).

يعنى أكثرها حياءً. . . والحياء منشأ الآداب، قيل: لم يضع يمينه على فرجه منذ بايع النبى ﷺ:

فلا والله ما فى العيش خير
ولا الدنيا إذا ذهب الحياءُ

يعيش المرء ما استحيا بخير
ويبقى العود ما بقى اللحاءُ

وعن الحسن رحمه الله ـ وذكر عثمان رضى الله عنه وشدة حيائه ـ، قال: «إن كان ليكون فى البيت، والباب

(١) فيض القدير للمناوى (٤/ ٢٠٣).

(٢) رواه أبو نعيم فى الحلية، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٨٧٢).

عليه مغلق، فما يضع عنه الثوب ليُفيض عليه الماء، يمنعه الحياء أن يقيم صلبه».

ابن عباس (رضى الله عنهما)

عن عكرمة عن ابن عباس: أنه لم يكن يدخل الحمام إلا وحده وعليه ثوبٌ صفيق يقول: إنى أستحى الله أن يرانى فى الحمام متجردًا»[1].

أين هؤلاء الرجال الأطهار

وها هو الصحابى الجليل أبو موسى الأشعرى (رضى الله عنه) يسطِّر على جبين التاريخ صفحة ناصعة البياض من الحياء.

عن أنس رضى الله عنه قال: «كان أبو موسى الأشعرى رضى الله عنه إذا نام لبس ثيابًا عند النوم مخافة أن تنكشف عورته».

وعن قتادة قال: «كان أبو موسى إذا اغتسل فى بيت مظلم تجاذب، وحنى ظهره، حتى يأخذ ثوبه، ولا ينتصب قائمًا».

---

(١) سير أعلام النبلاء (٣/ ٣٥٥).

وعن أبي موسى رضى الله عنه قال: «إني لأغتسل في البيت المظلم فما أقيم صلبي حتى آخذ ثوبي حياءً من ربي عز وجل».

وعن عبادة بن نسي قال: رأى أبو موسى قومًا يقفون في الماء بغير أُزر، فقال: «لأن أموت ثم أُنشر، ثم أموت ثم أنشر، ثم أموت ثم أنشر، أحب إليَّ من أن أفعل مثل هذا».

استحيا فاستحيا الله منه

وعن أبي واقد الليثي رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ بينما هو جالس في المسجد والناس معه إذ أقبل ثلاثة نفرٍ، فأقبل اثنان إلى رسول الله ﷺ، وذهب واحد، قال: فوقفا على رسول الله ﷺ، فأما أحدهما فرأى فُرجةً في الحلقة فجلس فيها، وأما الآخر فجلس خلفهم، وأما الثالث فأدبر ذاهبًا، فلما فرغ رسول الله ﷺ قال: «ألا أخبركم عن النفر الثلاثة؟ أما أحدهم فأوى إلى الله فآواه[1]، وأما

(١) أوى إلى الله: أى لجأ إلى الله «فآواه الله» أى جازاه بنظير فعله، بأن ضمه إلى رحمته ورضوانه، وفيه الثناء على من زاحم فى طلب الخير.

الآخر فاستحيا، فاستحيا الله منه[١]، وأما الآخر فأعرض فأعرض الله عنه»[٢] [٣].

الحمد لله الذى جبلنى على خلتين يحبهما الله (عز وجل)

عن عبد الرحمن بن أبى بكرة قال: قال لى أشجُّ بنى عصر: قال لى رسول الله ﷺ: «إن فيك لخلتين يحبهما الله عز وجل»، قال: قلت: «وما هما؟» قال: «الحلم والحياء»، قال: قلت: «قديمًا كانتا فىَّ أم حديثًا؟»، قال: «قديمًا»، قال: الحمد لله الذى جبلنى على خلتين يحبهما الله عز وجل[٤].

(١) فاستحيا: أى ترك المزاحمة كما فعل رفيقه حياءً من النبى ﷺ ومن حضر، وفى لفظ الحاكم: «ومضى الثانى قليلاً ثم جاء فجلس»، والمعنى أنه استحيا من الذهاب عن المجلس كما فعل رفيقه الثالث «فاستحيا الله منه» أى رحمه ولم يعاقبه.

(٢) فأعرض الله عنه: أى سخط عليه، وهو محمول على من ذهب معرضًا لا لعذر، هذا إن كان مسلمًا، ويحتمل أن يكون منافقًا، واطلع النبى ﷺ على أمره، كما يحتمل أن يكون قوله: «فأعرض الله عنه» إخبارًا أو دعاء.

(٣) رواه البخارى (١/١٥٦/ فتح)، وغيره.

(٤) رواه ابن أبى عاصم فى السنة (١٩٠) ـ والإمام أحمد (٤/٢٠٥) وله شواهد فى الصحيحين وغيرهما ـ وصححه الألبانى على شرط الشيخين.

الحسن البصرى (رحمه الله)

قال: لقد أدركت أقوامًا وصحبت طوائف منهم ما سألوا الله عز وجل الجنة قط حياء من الله عز وجل[1].

وكان يقول: أربع من كن فيه كان كاملا، ومن تعلق بواحدة منهن كان من صالحى قومه: دين يرشده، أو عقل يسدده، أو حسب يصونه، أو حياء يوقره[2].

ليس من الحياء

وبعد أن عشنا سويًا فى تلك الرحلة مع الحياء كان لا بد لنا من وقفة مع بعض الأشياء التى يظن الناس أنها من الحياء وهى أبعد ما تكون عن الحياء... وها هى بعضها:

* أن يترك الإنسان الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر حياءً من الناس فهذا ليس من الحياء فى شئ بل هذا ضعف وعجز ومهانة.

عن أبى سعيد الخدرى (رضى الله عنه) قال: سمعت

---

(١) قلت: وهذا خطأ فقد كان النبى ﷺ أشد الناس حياءً من ربه عز وجل ومع ذلك كان يسأله الجنة.

(٢) الزهد/ للحسن البصرى (ص: ١١٩).

رسول الله ﷺ يقول: «إن الله ليسأل العبد يوم القيامة حتى يقول: ما منعك إذ رأيت المنكر أن تُنكره؟ فإذا لقَّن الله عبدًا حجتُه قال: يا رب رجوتك وفرقتُ من الناس»(١) - أى خفت من الناس -.

* أن تخرج المرأة سافرة متبرجة كاشفة جسدها للأجانب فإذا نظر إليها رجل احمر وجهها وحاولت أن تستر جسدها!!! ... هذا ليس من الحياء فى شئ وإنما الحياء أن تلبس حجابها وتستر جسدها ولا تخرج إلا للضرورة ومعها أحد محارمها.

* أن يصافح الرجل المرأة الأجنبية زعمًا منه أنه استحيا منها لأنها مدّت يدها لتصافحه!!!.

قال ﷺ: «لأن يُطعن فى رأس أحدكم بمخيط من حديد خيرٌ له من أن يمس امرأة لا تحل له»(٢).

* أن يشهد الرجل شهادة زور زعمًا منه أنه فعل ذلك

---

(١) رواه ابن ماجة وابن حبان وابن عساكر، وقال الألبانى فى الصحيحة (٢/٩٢٩): وهذا إسناد جيد.

(٢) رواه الطبرانى فى الكبير عن معقل بن يسار، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٠٤٥) والصحيحة (٢٢٦).

حياءً من أحد أقاربه لأنه طلب منه أن يفعل ذلك.

قال الإمام الذهبي - رحمه الله -:

شاهد الزور قد ارتكب عظائم:

أحدها: الكذب والافتراء.

قال الله تعالى: ﴿**إن الله لا يهدى من هو مسرف كذاب**﴾ (غافر: ٢٨).

وثانيها: أنه ظلم الذى شهد عليه حتى أخذ بشهادته ماله أو عرضه أو روحه.

وثالثها: أنه ظلم الذى شهد له؛ بأن ساق إليه المال الحرام فأخذه بشهادته فوجبت له النار.

وقال ﷺ: «**فمن قضيت له بحق أخيه فإنما أقطع له قطعة من النار**» متفق عليه.

ورابعها: أنه أباح ما حرم الله - تعالى - وعصمه من المال والدم والعرض قال ﷺ: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟**» **ثلاثا:**

«الإشراك بالله وعقوق الوالدين، ألا وشهادة الزور، وقول الزور» وكان متكئًا فجلس، فما زال يكررها حتى

قلنا: ليته سكت. (متفق عليه).

فنسأل الله ـ تعالى ـ السلامة والعافية من كل بلاء[١].

* أن يُقرض رجلٌ رجلاً مالاً وهو لا يثق بأمانته، ويودُّ أن لو أشهد عليه الجن والإنس، ومع ذلك يستحى أن يستكتبه الدَّين أو أن يُشهد عليه، أو يمكن سفيهًا من ماله استحياءً منه، فيبدده شذر مذر.

عن أبى موسى رضى الله عنه قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة يدعون الله عز وجل فلا يُستجاب لهم: رجل كانت تحته امرأة سيئة الخُلق فلم يُطلقها[٢]، ورجل كان له على رجل مال فلم يُشهد عليه[٣]؛ ورجلٌ آتى سفيهًا[٤] ماله؛

(١) الكبائر/ للإمام الذهبى (ص: ٢٦٤).

(٢) فإذا دعى عليها لا يستجيب له، لأنه المعذب نفسه بمعاشرتها وهو فى سعة من فراقها، ولا يفهم من هذا ندبه إلى تطليقها، وإنما هو حث على عدم أذيتها بالدعاء عليها، ببيان أنه لا يستجاب دعاؤه عليها.

(٣) يعنى: فأنكره، فإذا دعى لا يستجاب له؛ لأنه المفرط المقصر بعدم امتثال قوله تعالى: ﴿واستشهدوا شهيدين من رجالكم﴾، وهذا جزء من آية الدين وهى أطول آية فى القرآن الكريم، وقد نزلت تبين الضمانات الكفيلة بحفظ مال المسلم، رعاية لمصلحته.

(٤) أى محجورًا عليه بسفه «ماله» أى شيئًا من ماله مع علمه بالحجر عليه، فإذا دعى عليه لا يستجاب له؛ لأنه المضيع لماله فلا عذر له ـ وانظر فيض القدير (٣/ ٣٣٦).

وقال الله تعالى: ﴿ولا تؤتوا السفهاء أموالكم﴾[(١)].

كيف نكتسب الحياء؟

وأخيرًا نسأل أنفسنا هذا السؤال... كيف نكتسب الحياء؟ فما هي الوسائل التي تعين على اكتساب الحياء وترسيخه:

أولاً: الإمساك عما تقتضيه قلة الحياء من أفعال وأقوال، كالكلام الفاحش والبذيء، مراغمة وإغاظة للشيطان الذي يزين هذه الأفعال، ويُغري بها، فإن هذا يؤنسه من التحريض عليها، فيخنس ويخزى.

ومن الأدب القرآني في هذا التكنية وعدم التصريح بالألفاظ التي تخدش الحياء إلا فيما لا بد منه لمصلحة شرعية.

ثانيًا: إدمان مطالعة فضائل الحياء، وترديدها على القلب، وجمع الهمة على تحصيل أعلى درجات الحياء، والسعي الحثيث في التحلي به.

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٢/٣٠٢)، وقال: «صحيح على شرط الشيخين» ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وانظر: «السلسلة الصحيحة» رقم (١٨٠٥).

ثالثًا: تقوية الإيمان والعقيدة فى القلب، لأن الحياء ثمرة الإيمان، ومعرفة الله عز وجل.

رابعًا: التعبد بالتفكر فى أسماء الله الحسنى التى تستوجب المراقبة والإحسان كأسمائه: الشهيد، والرقيب، والعليم، والسميع، والبصير، والمحيط، والحفيظ، . . . قال حاتم الأصم: (تعاهد نفسك فى ثلاث: إذا عملت فاذكر الله إليك، وإذا تكلمت فاذكر سمع الله منك، وإذا سكتَّ فاذكر علم الله فيك).

خامسًا: المواظبة على العبادات المفروضة والمندوبة كالصلاة التى قال تعالى فى شأنها ﴿**إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر**﴾، وقد قيل لرسول الله ﷺ: «إن فلانًا يصلى الليل كله، فإذا أصبح سرق!» فقال ﷺ: «سينهاه ما تقول» أو قال: «ستمنعه صلاته»[1].

وكالزكاة التى قال سبحانه فيها: ﴿**خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها**﴾

---

(١) رواه من حديث أبى هريرة رضى الله عنه الإمام أحمد (٢/ ٤٤٧)، والطحاوى فى «المشكل» (٢/ ٤٣٠)، وغيرهم، وصححه ابن حبان (٦٣٩ - موارد)، وقال فى «المجمع»: (رواه أحمد، والبزار ورجاله رجال الصحيح)اهـ. (٢/ ٢٥٨).

سادسًا: لزوم الصدق وتحريه، وتجنب الكذب لأن الصدق يهدى إلى البر، قال ﷺ : «عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدى إلى البر، وإن البر يهدى إلى الجنة»[1] الحديث، والحياء من جملة البر.

سابعًا: المواظبة على تكلف الحياء مرة بعد مرة حتى تألفه النفس، وتعتاده، ويصير لها طبعًا وسجية، وهذا يستلزم التجمل بالصبر كالمريض الذى يصبر على تعاطى الدواء المر.

ثامنًا: مخالطة الصالحين، ورؤيتهم، والسماع منهم، والاستمداد من حيائهم.

قال بعضهم: «أحى حياءك بمجالسة من يُستحيا منه».

وقال مجاهد: «لو أن المسلم لم يصب من أخيه إلا أن حياءه منه يمنعه من المعاصى لكفاه».

تاسعًا: استحضار حياء المثل الأعلى للبشرية رسول الله ﷺ، ومطالعة سيرته العطرة، وشمائله الكريمة، ثم استحضار حياء صحابته رضى الله عنهم وسيرتهم سيما

(١) رواه البخارى فى الأدب، ومسلم رقم (٢٦٠٦) وغيرهما.

الخلفاء الراشدين، والعشرة المبشرين بالجنة، وأصحاب بدر، وأصحاب بيعة الرضوان، وسائر المهاجرين والأنصار، ثم من تبعهم من أهل العلم والإيمان.

عاشراً: اعتزال البيئة الفاسدة والموبوءة التى تصد عن الخلق الحسن، والتنزه عن معاشرة قليلى الحياء، والتحول إلى الصحبة الصالحة، . . . وفى حديث قاتل المائة أن العالم قال له: «. . ومن يحول بينك وبين التوبة؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا، فإن بها ناسًا يعبدون الله، فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك، فإنها أرض سوء. .» الحديث[(١) (٢)].

فاللهم ارزقنا نعمة الحياء

* * *

---

(١) جزء من حديث رواه البخارى فى الأنبياء: باب ما ذكر عن بنى إسرائيل، ومسلم رقم (٢٧٦٦) فى التوبة: باب قبول توبة القاتل.

(٢) أصول الدعوة/ للدكتور عبد الكريم زيدان (ص: ٨٧: ٩٥) بتصرف - نقلاً من الحياء خلق الإسلام/ للشيخ محمد إسماعيل.

محتويات الكتاب

الموضـــوع **الصفحة**


يسر مؤسسة قرطبة أن تعلن
أنه صدر حديثاً كتاب
أختاه..
هذه قدوتك
جمع وترتيب
محمود المصرى
(أبو عمار)
مؤسسة قرطبة
ت : ٧٧٩٥٠٢٧




يسر مؤسسة قرطبة أن تعلن
أنه صدر حديثاً كتاب
أختاه.. كيف تثبتين
على دين الله
جمع وترتيب
محمود المصرى
(أبو عمار)
مؤسسة قرطبة
ت : ٧٧٩٥٠٢٧٠


يسر مؤسسة قرطبة أن تعلن
أنه صدر حديثاً كتاب
أختاه..
أين دورك
جمع وترتيب
محمود المصرى
(أبو عمار)
مؤسسة قرطبة
ت : ٧٧٩٥٠٢٧